أم مارية الأثرية
د. آلاء ممدوح محمود
ليدبروا آياته

{الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)}

"التفسير الإجمالي وترابط الآيات"

هذه الآية مرتبطة بما قبلها فلئلا يتحرج المسلمون من قتال المشركين إذا قاتلوهم في الأشهر الحرم قال الله تبارك وتعالى: {الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ } فكان النبي ﷺ قد توجه إلى مكة في السنة السادسة في شهر ذي القعدة ليعتمر، فصده المشركين {هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ }[سورة الفتح:25]، فصالحهم في الحديبية على أن يعتمر في العام القادم، فخرج النبي في نفس الشهر ذي القعدة وكانت عمرة القضاء، فالشهر الحرام بالشهر الحرام، منعوه من دخول البيت، ومن دخول مكة في شهر حرام، فدخلها النبي ﷺ من قابل في شهر حرام فيكون فيه، تطييب لقلوب الصحابة، بتمام نسكهم، وكماله. { وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ } أي القتال في الشهر الحرام لا يجوز؛ ولكن إذا كان ذلك على سبيل مقابلة عدوانهم فإن ذلك يكون جائزًا.
بما أن الحرمات قصاص قال تعالى: { فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ}؛ ولأن النفوس - في الغالب - لا تقف على حدها إذا رخص لها في المعاقبة لطلبها التشفي، أمر تعالى بلزوم تقواه قال تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ} أي اجعلوا بينكم وبين عذاب الله وقاية بفعل ما أمر واجتناب ما نهى، فالله -تبارك وتعالى- يكون معكم فهو أهل التقوى لذا قال: { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} أي: معكم بالعون، والنصر، والتأييد، والتوفيق.

هداية .... وتدبر

الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ	المقابلة بالمثل، يعني يُقتص من الجاني والمعتدي بمثل فعله. ومن هنا مَن تعدى عليك بأي نوع من التعدي فالقصاص يكون بالمماثلة فقط، فبعض الناس يربي ابنه على أن من ضربك اضربه عشرة أضعاف، وهذا خطأ كبير، لابد من تربيته على العفو وإلا فالقصاص بالمثل، وليس التشفي وظلم الغير. قال الشيخ السعدي: جميع ما أمر الشرع باحترامه، فمن تجرأ عليها فإنه يقتص منه، فمن قاتل في الشهر الحرام، قوتل، ومن هتك البلد الحرام، أخذ منه الحد، ولم يكن له حرمة، ومن قتل مكافئا له قتل به، ومن جرحه أو قطع عضوا، منه، اقتص منه، ومن أخذ مال غيره المحترم، أخذ منه بدله.
فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ	هذا الدين ليس بدين خنوع وضعف وعجز وقعود، وإنما هو دين قوة، فالمعتدي يرد عدوانه، فالأمة بحاجة إلى أن يكون لديها من القوة وأسباب القوة والمنعة ما تصد به عدوان المعتدين فتكون مرهوبة الجانب، ويحصل لها بذلك العزة والمنعة والغلبة، ويحسب الأعداء لها ألف حساب، فلا يجترئون عليها ولا يستحلون بيضتها. فالذي يتعدى حدود الله -تبارك وتعالى- مما حده في الزمان "كالأشهر الحرم" أو المكان "كالبلد الحرام" أو الأشخاص "كقتل المسلم" أو غير ذلك فإنه يعاقب بمثل فعله، والجزاء من جنس العمل.
	من شأن النفوس في مقابلة العدوان أنها لا تقف عن حد، فيحصل لها من التشفي ومجاوزة الحد بالزيادة على ذلك كالمثلة وغير ذلك من الصور، فأمر الله -تبارك وتعالى- بالوقوف عند حدوده والرد بالمثل. وقد كان في الجاهلية، كانوا يرون أن الجاني لربما لا يكافئ المجني عليه فيقتلون سيدًا في قومه، أو يقتلون جماعة فيه لم يشاركوا في قتله، فمثل هذا لا يجوز، ولهذا قال أهل العلم: بأن القصاص من الجاني لا يكون إلا

	بحضرة السلطان أو نائبه، حتى يكون حاجزًا من المجاوزة، من التمثيل والتشفي من هذا الجاني بأكثر مما فعل.
	الله يطلب العدل مع الكفار المعتدين في رد عدوانهم فكيف بأهل الإسلام في تعاملنا معهم؟! فالعدل معهم أوكد وأوجب، سواء كان ذلك في الأقوال أو الأفعال، والعاقل يضع نفسه في مقام الآخرين، ومن ثم فلا يصدر عنه شيء إلا ما يرضاه لنفسه، وهذا غاية الإنصاف. فلو حصل واعتدى شخص عليك بالضرب أو السب فيكون الإنصاف هو الحل وليس التعدي بالزيادة أبدًا، وضع نفسك مكانه، فهل تحب إن أخطأت في حق إنسان أن يرد لك الأمر أضعاف مضاعفة.
وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ	**الرد على اعتداء هؤلاء الكفار إنما هو استجابة لأمر الله - تبارك وتعالى، وإقامة للحق والعدل** فأمر معه بتقوى الله -تبارك وتعالى؛ ليكون ذلك عوضًا لهم من حظ نفوسهم، وحاجزًا لهم من العدوان الذي لا يكون بحق من الاعتداء والتجاوز ونحو ذلك، وإلا فالنفوس جماحها قد لا يقف عند حد في حال الحرب أو الانتصار أو نحو ذلك، فيقتل الأطفال والنساء والشيوخ والرهبان ونحو ذلك
	الله مع أهل التقوى معية خاصة بالنصر والتأييد والتمكين والرعاية والحفظ ونحو ذلك المقاتلون يحتاجون إلى مثل هذا من النصر والتأييد ولن يحصل له ذلك إلا بحفظ حدود الله -تبارك وتعالى- وترك الالتفات إلى حظوظ النفس والبعد عن كل ما يكون سببًا للهزيمة. فإذا كان في غزوة أحد ومعهم رسول الله ﷺ وهم خير جيل، مجرد معصية واحدة في خطة حربية وهي نزول بعض الرماة وليس كل الرماة من مواقعهم كانت النتائج كبيرة، فقتل منهم سبعون، ووقع النبي ﷺ بالحفرة وكسرت رباعيته وشج وجهه الشريف، وهزم المسلمون في تلك الوقعة بعد ذلك الانتصار الساحق في أول الوقعة.

	لابد أن نتأمل معصية واحدة حصل بسببها كل هذا، فكيف إذا كانت المعاصي كثيرة أو الكبائر أو حظوظ النفس حاضرة أو نحو ذلك. فهذا لا يحصل معه النصر، النصر يحتاج إلى تقوى الله - تبارك وتعالى، فهما عدتان: العدة الأولى: وهي إعداد القوة المادية قال تعالى: { وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ}. والعدة الثانية: هي تقوى الله -تبارك وتعالى، فإذا اجتمعت العدتان لا يقف في وجه هؤلاء من أهل الإيمان أحد.
	فضيلة التقوى، فالتقوى بها تنال معية الله وهذه لا شك من أعظم المطالب والمكاسب، ومن كان الله معه فإنه لا يُخذل بحال من الأحوال، فالله ناصره ومؤيده ومثبته ومقويه، لذا ما قال الله: اتقوا الله إن الله مع المتقين، ولكن قال: وَاعْلَمُوا يؤكد عليهم بذلك زيادة على مجرد الإخبار. قال الشيخ السعدي: ومن كان الله معه، حصل له السعادة الأبدية، ومن لم يلزم التقوى تخلى عنه وليه، وخذله، فوكله إلى نفسه فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد

الحث على الانفاق

{وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (195)}

"التفسير الإجمالي وترابط الآيات"

علاقة هذه الآية بما قبلها

لما كان الجهاد الذي هو بذل الأنفس لايكون إلا ببذل الأموال أمر الله بالنفقة في سبيل الله لإعلاء كلمة الله فالنفقة هي روح الجهاد

{وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} هذا أمر من الله -تبارك وتعالى- بالإنفاق في سبيله، وهو كل نفقة في طاعة الله -تبارك وتعالى- ووجوه البر والإحسان والمعروف من صدقة على مسكين، أو قريب، أو إنفاق على من تجب مؤنته من زوجه وأولاد، وأعظم ذلك الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، فإن النفقة فيه جهاد بالمال، وهو فرض كالجهاد بالبدن لما فيه من الإعانة على تقوية المسلمين ورفع كلمة التوحيد. ومنع النفقة في الجهاد يكون سبب لضعف المسلمين وقوة للأعداء؛ فهذه التهلكة، فيكون قوله تعالى: {وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} كالتعليل لذلك لأنه لا قيام للمصالح الدينية والدنيوية إلا بالمال.
ولما كانت النفقة في سبيل الله نوعًا من أنواع الإحسان، أمر بالإحسان عموما فقال: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} فهذا أمر بالإحسان مطلق بجميع وجوهه وصوره وأشكاله، الإحسان بالمال {قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى}، والإحسان بالقول{وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} وكذلك أيضًا الإحسان إلى القرابات والمحتاجين، والإحسان إلى المسيئين {وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}

سبب نزول هذه الآية: ذكر أبو أيوب الأنصاري أنهم حينما كانوا يحاصرون القسطنطينية فخرج صف من المشركين عظيم، فخرج رجل من المسلمين من غير درع ودخل في صف الكفار ثم خرج إلى المسلمين بعد ذلك، فقال قائلون: سبحان الله ألقى بيده إلى التهلكة، وعرَّض نفسه إلى القتل، فقال أبو أيوب الأنصاري نزلت فينا معشر الأنصار هذه الآية، وذلك أن الله تعالى لمَّا أعز دينه ونصر رسوله قلنا فيما بيننا: إنا قد تركنا أهلنا وأموالنا حتى فشا الإسلام، ونصر الله نبيه فلو رجعنا إلى أهلينا وأموالنا فأقمنا فيها فأصلحنا ما ضاع منها فأنزل الله: {وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}

المعنى: الأنصار أهل زروع وحرث ونحو ذلك فتركوها واشتغلوا عنها بالجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى سبيله، فلما نصر الله نبيه فكروا بالرجوع لما كانوا عليه فنهاهم الله عن القاء أنفسهم في التهلكة بترك الجهاد في سبيل الله وأمرهم بإنفاق الأموال في طاعه الله ومرضاته.

هداية .... وتدبر

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ	**إذا بذل أهل الإيمان وسعهم واجتهدت الأمة في طاعة الله -تبارك وتعالى- ونصر دينه فإن الله -تبارك وتعالى- لا يطالبهم بأكثر من ذلك** إذا بذل المسلمون وسعهم وأخذوا بأسباب القوة ولم يحصل منهم شيء من التواني والتفريط، فإن الله -تبارك وتعالى- ينصرهم؛ لأن الله قال: {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ }[سورة الأنفال:60]، وقال مذكرًا لهم بنعمته عليهم في يوم بدر: {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} [سورة آل عمران:123] يعني ليس معهم كبير سلاح ولا كثير عدد ولا كثير خيل وركاب وإنما كانت أشياء قليلة ومحدودة ومع ذلك حصل النصر. الأعداء ينفقون أموالهم في نصر باطلهم كما قال الله -تبارك

وتعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ [سورة الأنفال:36، 37] بين الله أن تلك النفقات تذهب أدراج الرياح وتكون حسرة عليهم ثم بعد ذلك تكون العاقبة لأهل الإيمان، فينصرهم الله -تبارك وتعالى	
قال الشيخ السعدي: وفيها من المصالح العظيمة، الإعانة على تقوية المسلمين، وعلى توهية الشرك وأهله، وعلى إقامة دين الله وإعزازه، فالجهاد في سبيل الله لا يقوم إلا على ساق النفقة، فالنفقة له كالروح، لا يمكن وجوده بدونها، وفي ترك الإنفاق في سبيل الله، إبطال للجهاد، وتسليط للأعداء، وشدة تكالبهم.	
يدخل في ذلك الإنفاق في الدعوة إلى الله -تبارك وتعالى، الإنفاق في إغاثة المنكوبين والملهوفين، وإعانة المتضررين. والله -تبارك وتعالى- يقول: {فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ [سورة البلد:11-16]، فهذه العقبة فسرها الله -تبارك وتعالى- بقوله: وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ} يوم شدة، وحاجة مُلحَّة. ونحن نشاهد اليوم أحوال إخواننا المسلمين في بلاد الشام وفي غيرها وما هم فيه من الجوع والبرد والخوف، وذلك سائلنا الله -تبارك وتعالى- عنه ومحاسبنا عليه، فمن الإنفاق في سبيل الله مساعدتهم وبذل المال لهم.	
الشح والإمساك هو مما يدعو إليه الشيطان قال تعالى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً }[سورة البقرة:268]، فهذا وعد الشيطان، وهذا وعد الله -تبارك وتعالى- المغفرة والفضل، وهذا الفضل يشمل الفضل الدنيوي والفضل الأخروي، فما أنفقه الإنسان فإن الله يخلفه، وربنا -تبارك وتعالى- هو	

	الغني الرزاق ذو القوة المتين.
وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ	**تحريم جميع الأشياء الضارة التي تؤدي إلى الأمراض أو تؤدي إلى الموت والهلاك ونحو ذلك** فالإنسان ليس له أن يتعاطى ما يؤدي به إلى الضرر والهلاك، سواء في صحته كشرب الدخان أو المخدرات أو الخمر أو أكل المحرمات لأن الله اذا حرم شيء فهو مهلك وفيه الضرر، أو في ماله كالتعامل بالربا أو القمار وغيرها، أو تغرير الإنسان بنفسه في مقاتلة أو سفر مخوف، أو محل مسبعة أو حيات، أو يصعد شجرا أو بنيانا خطرا، أو يدخل تحت شيء فيه خطر ونحو ذلك.
	من الإلقاء باليد إلى التهلكة الإقامة على معاصي الله، واليأس من التوبة، ومنها ترك ما أمر الله به من الفرائض، التي في تركها هلاك للروح والدين.
وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ	**على العبد أن يسعى إلى درجة الإحسان، وأن يتقن العمل قدر استطاعته لينال محبة الله** وذلك بالوقوف عند ما حده الله -تبارك وتعالى، ويكون ذلك مع الانسان ومع الحيوان ومع غيره، كما قال النبي ﷺ: { وإذا قتلتُم فأحسنوا القِتْلَةَ} وقال: {إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة}، وهذا الإحسان يكون بالقول والفعل والمال، ويكون بأنواع المواساة وتفريج كربات الناس بالجاه والشفاعات، وعياة المرضى وتشييع الجنائز وإرشاد الضالة، والرفق ونحو ذلك، والجزاء من جنس العمل، فالمحسن الذي يحسن إلى الناس هو حري بإحسان ربه - تبارك وتعالى- وجوده وفضله وعطائه؛ وكما قال الحافظ ابن القيم -رحمه الله: "بأن من أحسن إلى عباد الله أحسن الله إليه".
	ويدخل في الإحسان أيضا، الإحسان في عبادة الله تعالى. وهو كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك " فمن اتصف بهذه الصفات، كان من الذين قال الله فيهم: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} فالحسنى الجنة، والزيادة

	النظر إلى وجه الله الكريم، وكان الله معه يسدده ويرشده ويعينه على كل أموره.
	لا تحزن على طيبتك فإن لم يوجد في الأرض من يقدِّرها ؛ ففي السماء من يباركها من علامات الإخلاص في الإحسان ألا تنتظر المكافأة من الناس، سئل أحد المعروفين بنفع الناس: ألا يضيق صدرك من تجاهل معروفك مِنْ قبل مَنْ تحسن إليهم؟ قال: ما انتظرته ليحزنني! يكفيني(إن الله يحب المحسنين).

آيات الحج

{وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (196) }

"التفسير الإجمالي وترابط الآيات"

علاقة هذه الاية بما سبق

أن آيات الجهاد والأهلة وصلًا بين الصيام والحج فالحج يأتي بعد شهر الصوم

كذلك هذا له علاقة بسبب النزول: فقد خاف المسلمون أن يصدهم المشركين عن المسجد الحرام لذا سألوا عن الأهلة، ثم أتي الأمر بالقتال إذا بدأوهم به، ثم الأمر بإتمام الحج والعمرة لله فإن حصل لهم حصر ومنع من العدو فعليهم بالهدي.

{وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ}أي أدوا الحج والعمرة تامين خالصين لله -تبارك وتعالى-، فالاتمام قدر زائد على الاداء يتضمن الاداء التام والاتقان والاخلاص لله.

{فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ} أي: منعتم من الوصول إلى البيت لتكميلهما، بمرض، أو ضلالة، أو عدو، ونحو ذلك

{فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} أي: فاذبحوا ما استيسر من الهدي، وهو سبع بدنة، أو سبع بقرة، أو شاة يذبحها المحصر في الموضع الذي أحصر فيه، ويعطي منها لمن حوله من الفقراء، ويحلق ويحل من إحرامه بسبب الحصر كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، لما صدهم المشركون عام الحديبية، فإن لم يجد الهدي، فليصم بدله عشرة أيام كما في المتمتع ثم يحل.

ثم قال تعالى: {وَلا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ} لأنه لا يجوز له أن يحلق ولا أن يقصر حتى يبلغ الهدي محله وهذا من محظورات الإحرام، إزالة الشعر، بحلق أو غيره، لأن المقصود من ذلك حصول الشعث والمنع من الترفه بإزالته، ويستمر المنع حتى يبلغ الهدي محله، وهو يوم النحر، والأفضل أن يكون الحلق بعد النحر.

{فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ} كالقمل كما وقع ذلك لكعب بن عجرة فقد جيء به إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهه، فالنبي ﷺ قال له: أتجد شاة؟، فقال: "لا"، ثم ذكر له بعد ذلك على التدريج من الأعلى إلى الأدنى، فإن فدية الأذى هي بذبح شاة توزع على فقراء الحرم، أو بإطعام ستة مساكين من فقراء الحرم يعطي لكل مسكين نصف صاع من طعام يكون قوتًا، أو بصيام ثلاثة أيام، فيكون مخيرًا بين هذه الأمور الثلاثة.

قال الشيخ السعدى: وإنما منع تبارك وتعالى من ذلك، لما فيه من الذل والخضوع لله والانكسار له، والتواضع الذي هو عين مصلحة العبد، وليس عليه في ذلك من ضرر، فإذا حصل الضرر بأن كان به أذى من مرض، ينتفع بحلق رأسه له، أو قروح، أو قمل ونحو ذلك فإنه يحل له أن يحلق رأسه، ولكن يكون عليه فدية من صيام ثلاثة أيام، أو صدقة على ستة مساكين أو نسك ما يجزئ في أضحية، فهو مخير، والنسك أفضل، فالصدقة، فالصيام.

ثم قال تعالى: {فَإِذَا أَمِنْتُمْ} أي: بأن قدرتم على البيت من غير مانع عدو وغيره، {فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ} بأن توصل بها إليه، وانتفع بتمتعه بعد الفراغ منها.

{فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ} أي: فعليه ما تيسر من الهدي، وهو ما يجزئ في الأضحية، وهذا دم نسك هدي شكران، مقابلة لحصول النسكين له في سفرة واحدة، ولإنعام الله عليه بحصول الانتفاع بالمتعة بعد فراغ العمرة، وقبل الشروع في الحج، ومثلها القِران لحصول النسكين له.

{فَمَنْ لَمْ يَجِدْ} أي الهدي أو ثمنه {فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ} أول جوازها من حين الإحرام بالعمرة، وآخرها ثلاثة أيام بعد النحر، أيام رمي الجمار، والمبيت بـ "منى" ولكن الأفضل منها، أن يصوم السادس والسابع والثامن، {وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ} أي: فرغتم من أعمال الحج، فيجوز فعلها في مكة، وفي الطريق، وعند وصوله إلى أهله.

{ذَلِكَ} المذكور من وجوب الهدي على المتمتع {لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} بأن كان عند مسافة قصر فأكثر، أو بعيدا عنه عرفات، لحصول النسكين له في سفر واحد، وأما من كان أهله من حاضري المسجد

الحرام، فليس عليه هدي لعدم الموجب لذلك.
{وَاتَّقُوا اللَّهَ} أي: في جميع أموركم، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، ومن ذلك امتثالكم، لهذه المأمورات من الهدي والصيام، واجتناب هذه المحظورات من الحلق والتقصير. {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} أي: لمن عصاه، وهذا هو الموجب للتقوى، فإن من خاف عقاب الله، انكف عما يوجب العقاب، كما أن من رجا ثواب الله عمل لما يوصله إلى الثواب، وأما من لم يخف العقاب، ولم يرج الثواب، اقتحم المحارم، وتجرأ على ترك الواجبات.

هداية .... وتدبر

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ	هذا أمر بالإتمام، الإتمام هنا يشمل أن يؤتى بهذا العمل وهذا النسك على الوجه المشروع المطلوب من غير ابتسار، وطلب للشيء قبل أوانه، ليست القضية أن نصل قبل الناس، وأن نلقي على عواتقنا هذه الأعمال والمناسك ونتخلص منها، القضية أن يؤتى بالعمل على الوجه الصحيح، فإن الله لا يقبل العمل إلا إذا كان على وفق ما شرع وبالإخلاص.
	يدخل في إتمام الحج أنه إذا دخل في النسك فليس له أن يتحلل منه إلا في حال الإحصار لكن الكثيرين يتساهلون في هذا فيذهب الواحد في أيام المواسم والزحام للعمرة ولربما أخذ أولاده ونحو ذلك، فإذا جاءوا ووصلوا إلى مكة ورأى الزحام يقول: رأيت مشقة فذهبت إلى المطار ويرجع، ويظن أن يتحلل بهذه الطريقة، والواقع أنه لا يزال محرمًا حتى يأتي بالنسك، فإن الإحرام لا يصح رفضه، بمعنى أنه لو نوى الخروج منه لا يخرج يبقى على إحرامه، الصلاة مثلاً لو كان الإنسان يصلي ونوى الخروج منها فإنه لا يحتاج إلى تسليم، إذا أقيمت الصلاة ونوى الخروج من الصلاة بعض الناس يسلم عن يمينه أو عن يمينه وشماله وهو

	قائم، هذا غير صحيح، وإنما يكفي أن ينوي بقلبه الخروج من الصلاة، فيكون قد خرج ولا يحتاج إلى تسليم؛ لأن التسليم للإتمام.
	يدل على الإخلاص لله -تبارك وتعالى، وتنصيص على أهميته في الأعمال والعبادات، لاسيما الحج والعمرة. فهذا تذكير بالتوحيد قبل الشروع بذكر الأحكام التفصيلية.
فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ	ما قال: فإذا أحصرتم، والفرق بينهما أن "إن" تقال فيما يقع قليلاً أو نادرًا، وأما "إذا" فتكون لما يقع كثيرًا، وهذا باعتبار أن الإحصار إنما يكون وقوعه قليلاً {فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ} فالأصل عدم الإحصار.
فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ	هذا يدل على التيسير، وأن مبنى الشريعة على اليسر {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}. ما الذي يتيسر له من الهدي؟ شاة أو سبع بقرة أو بدنة من الإبل كل ذلك يجزيه.
فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ	رخَّص الله -تبارك وتعالى- للمريض ومن به أذىً من رأسه من هوام الرأس أن يحلق، فهذا يدل أيضًا على التيسير والتخفيف، وأنه ما جعل علينا في هذا الدين من حرج، فإذا كان الإنسان يحتاج إلى الحلق أو إلى شيء من محظورات الإحرام لعذر معتبر فإنه يفعل ويكون عليه فدية أذى.
	فهذا يدل على أن إطعام الطعام والإحسان إلى المساكين والفقراء والمحتاجين من فضائل الأعمال، لاسيما في الحج، فقد شرَّع الله -تبارك وتعالى- من التشريعات ما يكون سببًا للإحسان إلى هؤلاء وسد جوعتهم.
	جاء التدرج فيها من الأسهل إلى ما فوقه، فالأسهل هو الصيام؛ لأنه لا يبذل فيه مالاً، ثم إطعام ستة مساكين، ثم بعد ذلك النسك ذبيحة إما شاة وإما بدنة.
فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ	**التيسير بالعباد ورحمة الله في شرعه، فكل شرع الله يسير** وذلك بذكر البديل وهو الصيام، ومن التيسير أيضًا أنه فرقها وجزأها ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع، فجعل

	الأقل في الحج؛ لأنه في سفر، وأعمال الحج والمناسك، ثم بعد ذلك إذا رجع صام الأكثر.
	من بلاغة القرءان الإيجاز، والبعد عن الإطالة فَمَنْ لَمْ يَجِدْ: بهذه العبارة الوجيزة الشاملة يدخل فيه من لم يجد الهدي نفسه لم يجد شاة أو بقرة أو بدنة من الإبل من أجل أن يذبحها، أو باعتبار أنه لم يجد القيمة، فهي لفظة يسيرة تحمل معانٍ كثيرة.